

ما يسمونه عندهم «أهمسا» أى اجتناب الأذى مع الأحياء كافة حتى ما يؤذيه الآخرون طلباً للطعام

وفى شرع البوذيين أن «الغضب» رذيلة دائماً وأن الإكراه محظور فى جميع الأحوال، فشاعت البوذية وعمت بين غالبها دون أن تلجأ إلى اضطهاد أو جاسوسية أو محكمة تفتيش وعلى هذا، وعلى ما تقدم من نقي ضرورة الحرب، يسوغ لنا أن نعتقد أن الدعوة إلى إلغاء الحروب ليست بالدعوة التى تقاوم مجرى الطبيعة أو تعارض تيار السفن التاريخية، وأنه من الجائز أن يشيع السلام فى وقت من الأوقات، وبخاصة فى المصور المقبلة القريبة بعد ما استنفج خطر الحرب وتمذرت النجاة منه على المسالين فى البيوت والمقاتلين فى خطوط النار

واستطرد الكاتب إلى إجمال أسباب الحرب فقال ما خلاصته أنها أسباب نفسية قبل أن تكون اقتصادية أو سياسية كما يزعم الاشتراكيون ورجال السياسة، وإن كان هذا لا يمنع أن لها أسباباً اقتصادية تعالج بترياق غير ترياق الدماء

فمن أسباب الحرب الخوف، فهو يدفع إلى الاستعداد، والاستعداد يضطر الأمم إلى الحرب، لأنه يهيئ الأذهان لها بكثرة التوقع والشك فى إمكان اجتنابها، وأخرى أن يكون ذلك فى المصور الحديثة والبلاد المتحضرة، حيث أصبح السلاح عرضة للتفسير والبلبلى بعد قليل من السنوات، فمن المسير أن تنفق الدول الملايين ثم تلقى بها فى التراب

ومن أسبابها شيوخ الملل فى الحضارة إذ يشيع الكفر بالأمثلة العليا فتعود الحياة عبثاً ثقيلًا لا غرض له ولا وجهة ولا متعة فيها أمتع من الإهاجة واستغزاز الشعور، والحرب تهيج النفوس فتدفع الملل والسامة وتقل حوادث الانتحار كما ثبت من إحصاءات علماء النفس وفى طبيعتهم دركهم وهلباش

ومن أسباب الحرب الحرب نفسها حين تهجم أمة على أمة أخرى لا تتراجع موقع لازم للتحصين ودرء المخاوف واتقاء الهجوم ومن أسبابها المجد الكاذب وطغيان الأقوياء وتحويل أنظار الشعوب فى الأزمان إلى ما يشغلها عن الثورة والانتفاض ومن أسبابها التربية القائمة على الإفراط فى اتباع النظام

والذى يدل أكبر دلالة على أن الحرب ليست طبيعة فى الإنسان ولا فى الاجتماع أنها لم تظهر فى التاريخ إلا بعد ظهور درجة من الحضارة وتوع من الحكومة، فهى مجهولة بين قبائل «الأسكيمو» التى تسكن الأصقاع الشمالية حتى اليوم. وقد كانت مجهولة فى أطوار الإنسانية الأولى فلم يعرف عن الإنسان فى تلك الأطوار أنه اتخذ السلاح للقتال وحب الغلب والسيادة، وإنما كان يتخذ السلاح لدفع الضواري أو لصيد بعض الحيوان وصحيح أن «تنازع البقاء» قانون قائم فى عالم الإنسان كما هو قائم فى عالم الحيوان، ولكن من أين لنا أن تنازع البقاء مستلزم دوام الحرب كما ألفتها ونألفها فى الحضارات النابرة والحاضرة؟ ومتى شوهد الحيوان وهو يتجمع مئات وألوفاً ليقاتل بعضه بعضاً من فصيلة واحدة؟ فليس فى عالم الطبيعة كلها ظاهرة تشبه اجتماع جيشين لمحاربة جيش آخر، ولم يعلم قط أن قطعاً من الدئاب احتشد للهجوم على قطع مثله، أو أن سرباً من الطير فعل مثل ذلك على سنة آدميين فى الحروب

فالقول بأن الحرب قانون طبيعى قول لا يستند إلى أصل من الطبيعة الحيوانية فى حال الفرد والجماع، وإنما هو تفسير خاطئ لقانون صحيح

إن الآداب الأوربية قد شوهت الأخلاق حتى وهم الناس أن التفضحية بالحياة أنبل ما يستطيعه الإنسان، وأن الشهيد أى الميت الحسن على زعمهم أفضل من الرجل العامل أى الحى الحسن. وعلى خلاف ذلك كانت آداب الشرقيين فى الهند والصين، فعند اتباع كنفيوس أن الغامرة بالحياة لا تليق، وأن الحكمة أفضل من الشجاعة البدنية، وأن العاملين فى السلم أفضل من العاملين فى القتال، وأن الفضيلة العليا أن يحجم المرء عن الكبرياء والمدوان ويروض نفسه على الوداعة ومجازاة الإساءة بالاحسان ولا جاء المسيح بدين الوداعة والمسالمة دخلت المسيحية بين شعوب أوربا المقاتلة فجعلوا «الاستشهاد» غاية الغايات فى النبيل والفضيلة، لأنهم هكذا ينظرون إليه فى الآداب العسكرية، حتى التبست دعوة السلام بدعوة القتال

أما فى الهند فالحضارة البوذية تأبى المدوان على أحد من الأحياء وتوصى بمجارية الشر بالكف عن مقابلته بمثله، وهو